

تفسير السعدي

@ 456 @ أحدا ، إلا بإذن الله . كما أن من جعل مع الله إلها آخر ، له الذم والخذلان . فمن وحده ، وأخلص دينه ، وتعلق به دون غيره ، فإنه محمود معان في جميع أحواله . ! 2 ! 2
لما نهى تعالى عن الشرك به ، أمر بالتوحيد ، فقال : ! 2 ! 2 ! قضاء دينيا ، وأمر شرعيا ! 2 ! 2 . ! 2 ! أحدا من أهل الأرض والسموات والأحياء والأموات . ! 2 ! 2 ! لأنه الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي له كل صفة كمال ، وله من كل صفة أعظمها ، على وجه لا يشبهه أحد من خلقه ، وهو المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة ، الدافع لجميع النقم ، الخالق ، الرازق ، المدبر لجميع الأمور ، فهو المتفرد بذلك كله ، وغيره ليس له من ذلك شيء . ثم ذكر بعد حقه القيام بحق الوالدين فقال : ! 2 ! 2 ! أي : أحسنوا إليهما ، بجميع وجوه الإحسان ، القولي والفعلي ، لأنهما سبب وجود العبد ، ولهما من المحبة للولد ، والإحسان إليه ، والقرب ، ما يقتضي تأكيد الحق ، ووجوب البر . ! 2 ! 2 ! أي : إذا وصلا إلى هذا السن ، الذي تضعف فيه قواهما ، ويحتاجان من اللطف والإحسان ، ما هو معروف . ! 2 ! 2 ! وهذا أدنى مراتب الأذى ، نبه به على ما سواه . والمعنى لا تؤذيهما أدنى أذية . ! 2 ! 2 ! أي : تزرجهما ، وتتكلم كلاما خشنا . ! 2 ! 2 ! بلفظ يحبانه ، وتأدب ، وتلطف معهما ، بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما ، وتطمئن به نفوسهما ، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والعوائد ، والأزمان . ! 2 ! 2 ! أي : تواضع لهما ، ذلا لهما ، ورحمة ، واحتسابا للأجر ، لا لأجل الخوف منهما ، أو الرجاء لما لهما ، ونحو ذلك من المقاصد ، التي لا يؤجر عليها العبد . ! 2 ! 2 ! أي : ادع لها بالرحمة أحياء ، وأمواتا . جزاء على تربيتهم إياك ، صغيرا . وفهم من هذا ، أنه كلما ازدادت التربية ، ازداد الحق . وكذلك من تولى تربية الإنسان في دينه ودنياه ، تربية صالحة غير الأبوين ، فإن له على من رباه حق التربية . ! 2 ! 2 ! أي : ربكم تعالى مطلع على ما أكنته سرائركم ، من خير وشر ، وهو لا ينظر إلى أعمالكم وأبدانكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وما فيها من الخير والشر . ! 2 ! 2 ! بأن تكون إرادتكم ومقاصدكم دائرة على مرضاة الله ورغبتكم فيما يقربكم إليه ، وليس في قلوبكم إرادات مستقرة لغير الله . ! 2 ! 2 ! أي : الرجاعين إليه في جميع الأوقات ! 2 ! 2 ! . فمن اطلع الله على قلبه ، وعلم أنه ليس فيه إلا الإنابة إليه ومحبه ، ومحبة ما يقرب إليه ، فإنه ، وإن جرى منه في بعض الأوقات ، ما هو مقتضى الطباع البشرية ، فإن الله يعفو عنه ، ويغفر له الأمور العارضة ، غير المستقرة . ! 2 ! 2 ! يقول تعالى : ! 2 ! 2 ! من البر والإكرام ، الواجب والمسنون ، وذلك الحق ، يتفاوت بتفاوت الأحوال ، والأقارب ، والحاجة وعدمها ، والأزمنة .

2 ! 2 ! آتة حقه من الزكاة ومن غيرها ، لتزول مسكنته ! 2 2 ! وهو : الغريب المنقطع
به عن بلده . ! 2 2 ! يعطى الجميع من المال ، على وجه لا يضر المعطى ، ولا يكون زائدا
على المقدار اللائق ، فإن ذلك تبذير ، وقد نهى الله عنه وأخبر : ! 2 2 ! لأن الشيطان ، لا
يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة ، فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك ، فإذا عصاه ، دعاه إلى
الإسراف والتبذير . والله تعالى ، إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها ، ويمدح عليه ، كما في
قوله ، عن عباد الرحمن الأبرار ! 2 2 ! . وقال هنا : ! 2 2 ! كناية عن شدة الإمساك
والبخل . ! 2 2 ! فتنفق فيما لا ينبغي ، وزيادة على ما ينبغي . ! 2 2 ! إن فعلت ذلك !
2 2 ! أي : تلام على ما فعلت ! 2 2 ! أي : حاسر اليد فارغها ، فلا بقي ما في يدك من
المال ولا خلفه مدح وثناء . وهذا الأمر بإيتاء ذي القربى ، مع القدرة والغنى . فأما مع
العدم ، أو تعسر النفقة الحاضرة ، فأمر تعالى أن يردوا ردا جميلا فقال : ! 2 2 ! أي :
تعرض عن إعطائهم إلى وقت آخر ، ترجو فيه من الله تيسير الأمر . ! 2 2 ! أي : لطيفا برفق
، ووعد بالجميل ، عند سنوح الفرصة ، واعتذار بعدم الإمكان ، في الوقت الحاضر ، لينقلبوا
عنك ، مطمئنة خواتمهم ، كما قال تعالى : ! 2 2 ! . وهذا أيضا ، من لطف الله تعالى